في افتتاح العام الدراسي

المعلم في عهد التحرير

للأستاذ محمد رجب البيومي

أشرق على مصر فجر جديد يبعث الضوء والأمل ، ويطرد الظلام واليأس ، وقد أحس كل مصري أنه بدأ يعيش لوطنه ونفسه ، بعد أن كان يعيش غريبا لغيره ، فأخذ يفكر في مهمته ، ويبحث عن خير مصر ، ويعمل على رفعتها بين الأمم بعد أن تمهدت الصعاب ، واستوى السبيل الواضح أمام السائرين

والمعلم ذو رسالة سامية في أمته ، فهو الذي يخط سطور المستقبل ، ويبني صرح الحياة ، إذ يتعهد النشء بالتربية والصقل والتقويم ، ويبعث في رجال الغد قوة عاتية تحطم الأغلال والسدود ، ويخلق فيهم يقظة واعية تتفهم الأمور وتدرك الأسباب ، وقد حرص على أن يقوم بمهمته الشاقة في دأب وكفاح ، دون أن تعوقه الدوافع والحوائل ، ليرضي ضميره المتيقظ في أحنائه ، ويقضي حياته مثلوج الصدر ، هانئ البال

وقد وفق المعلم في أداء رسالته إلى حد كبير ، ففي العهد الماضي حينما كان الظلام الدامس يرين على الآفاق في كل مكان ، فالصحف مكممة الأفواه ، لا تسطر غير ما يرضي الباطل ويغضب الحق ، والألسنة المخلصة معقولة حبيسة ، تحاول النطق فلا تستطيع ، والأحرار في كل ناحية يلاقون من البلاء والمحنة ، ما يوهي العزائم ، ويفت في الأعضاء ، !! حينما كان ذلك كله ، كان المعلم يجد في ميدانه متسعا فسيحا لإيضاح الحق وإزهاق الباطل ، فهو يتحدث إلى تلاميذه كما يتحدث الوالد إلى أسرته ، كاشفا ما يرتكبه الآثمون من ضروب الخيانة والرشوة والطغيان ، وقد يضطر إلى التلميح حينما يخشى الغبة المخيفة ، ولكنه لا ينى عن أداء رسالته المخلصة لوطنه وأمته ودينه ، لذلك كان التلاميذ في كل مدرسة من مدارس القطر أول من هتفوا بسقوط فاروق وهو في شوكته وسلطانه وجنده ، بل إنهم حاصروا قصوره ، وأسمعوه من السباب والتهكم ما أقض مضجعه ، وشرد النوم عن

وقد لا تنصرف الصورة في إبعاد القراءة إلى الكتاب ، بل إلى الشخص ، فيشعر بالفتور ، أو التثاؤب ، أو الرغبة في النوم ، أو ينام فعلا

ولكن الدخول في النوم يحتاج إلى تفسير آخر يضاف إلى العزوف الباطني اللاشعوري عند القراءة . ذلك أن كثيرا من الناس يعتادون القراءة وهم مستلقون على ظهورهم كأنهم نائمون ، ليكون الوضع بالنسبة إليهم مريحا ، وهذا الوضع بالذات يهيئ إلى النوم . ولذلك ينبغي على مثل هؤلاء إذا أرادوا التخلص من النوم أن يتخذوا لأنفسهم عادة أخرى وهي الجلوس في هيئة جادة ، ويحسن إلى جانب ذلك ألا يخلعوا الملابس الرسمية التي يخرجون فيها ، وألا يلبسوا ملابس البيت . هذا إلى أن النظر في حروف الكتاب مع وضع الرأس إلى الخلف في حالة أن يكون القارئ مضطجعا يتعب العين ويجهدها ، فيكون مثل هذا الشخص مثل الوسيط الذي ينوم تنويما مغناطيسيا فلابد من تغيير الهيئة

وفي بعض الأحيان لابد من تغيير المكان ، كالخروج من حجرة إلى أخرى ، أو الخروج من الدار إلى الحديقة ، أو الخروج من حديقة الدار إلى خارج البيت

وقد يعالج الإنسان نفسه بأن ينتقل من كتاب إلى آخر ، إذ من شأن النفس أن تسأم الطعام الواحد

وقد يكون الكتاب ثقيلا مملا يبعث كاتبه السأم إلى النفس ، ومثل هذه الكتب إذا قسر المرء نفسه على قراءتها هي التي تجلب النوم

فعليك باختيار النوع من القراءات الذي لا يدفعك إلى النوم ، ولا تقبل على الاطلاع الشاق الجاد إلا حين تكون في يقظة تامة وصحة جيدة

أحمد فؤاد الأهواني

عينيه ، وبذلك أتيح للمعلم أن يخلق جيلا واعيا يعرف الخائن والمخلص، ويميز الطيب من الخبيث

ولقد اجتهد النفاق الآثم فى تزييف الحقائق، وتشويه الوقائع، فامتلأت الكتب المدرسية بالثناء الكاذب على الأسرة العلوية ، وجعلت كل طاغية فاسق من أبنائها الفجرة ملاكا طاهرا ، يراقب ربه ، ويعمل جاهدا لرفعة وطنه ودينه ، وتعاونت معها الصحف والمجلات فى رفعة أناس لا يستحقون غير الضعة والهوان ، فكانت الجرائد اليومية تظهر مكدسة بصورهم الضخمة ، ومتخمة بالأكاذيب الفاضحة تختلق اختلاقا ، عن مروءتهم وفضائلهم فى كل ذكرى تمر ، أو مناسبة تحين ، أجل ! كانت الكتب المدرسية ، والصحافة الخادعة تقوم بمجهودها الفاشل فى هذا المضمار ، والمعلم من وراء ذلك كله يقف بين تلاميذه ليدحض الأكاذيب المنمقة ، ويميط اللثام عن الحقائق الفاضحة ، حتى سطع الحق فى الأذهان وضيئا لامعا ، وعرف كل مصرى تاريخ بلاده ، كما كان ، لا كما أريد له أن يكون ، وأمامك الثورة العرابية ، مثال صدق لما نقول ، فقد تواطأت الأقلام الآثمة ، على إبراز زعيمها المجاهد فى صورة المتهور الجاهل ، الذى لا يقدر العواقب ، ولا يتبصر الأمور ، واجتهدت الصحافة المتملقة فى إخفاء كل مقال يكشف وجه الحق فى هذه الثورة الشعبية المجيدة ، فإذا جاءت مناسبة ملحة للحديث عنها وجدت ضروبا بشعة من التلفيق والتضليل ، ورغم ذلك كله فقد استطاع المعلم أن ينشئ أجيالا متعاقبة تهيم بعرابى الخالد ، وترى فيه رمز البطولة والتضحية والإيمان ، وجاءت حركة الجيش المباركة فأتاحت لهذه العواطف المشبوبة نحوه أن تجد متنفسا على الأوراق ، وبين أمواج الأثير ، فانطلقت الأقلام فى الصحف ، وانبعثت الأصوات فى الإذاعة ، تهتف بذكرى عرابى الخالد ، وترتفع به إلى أوج البطولة والتقديس

لقد أدى المعلم واجبه فى العهد البائد النصرم ، وبقى عليه فى عهد التحرير واجب شاق عسير ، فهو مطالب بأن ينشئ الأجيال القادمة على حب الحرية والعزة والاستقلال ، ومكلف بأن يحمى الأذهان الغضة مما يغيم فى سمائها من الأباطيل ، إذ أن حركة الجيش المباركة تصطدم فى وثوبها بمن يروجون الإشاعات المغرضة ، ويرجفون بالمفتريات الخادعة ، فقد دأبت الرأسمالية الحاقدة على نشر السموم فى كل مكان ، وانحاز إليها فريق من ذوى الأغراض الخبيثة كالمحتكرين من التجار ، والمطرودين عن مناصبهم اللامعة لما علق بهم من الشبه ، والمآثم ، وهؤلاء وأشباههم يتأوهون فى مضاجعهم حسرة على ما انتهوا إليه من مذلة وهوان ، ويحاولون الثأر فلا يجدون غير الإشاعات والمفتريات ، وإن من المؤسف اللاذع أن يجدوا آذانا تسمع ، ونفوسا تصدق ! ولو لم يكن ذلك ، ما استطاع إقطاعى آثم فى مناغة ، أن يقود شرذمة من الجهلة والرعاع ، ليعلن عصيانه وطغيانه على رؤوس الأشهاد ، وما اندفع عامل أبله فى كفر الدوار إلى قيادة عصابة تحطم المصانع وتحرق المنسوجات ، ولو عقل هؤلاء الجهلة من الطغام لعلموا أن حركة الجيش لم تبعث من مرقدها إلا لتمهد لهم سبيل الكرامة والسعادة والثراء ، ومن هنا كان واجب المعلم خطيرا شاقا فهو مطالب — فوق واجبه التعليمى — بإزالة الشبه والمفتريات ، ولن يقول قائل إنه يتدخل بذلك فى السياسة ، وهى محظورة على التلاميذ ، إذ أن السياسة الحزبية التى تقوم على الأشخاص وتغفل المبادئ ، هى المحظورة المنوعة ، أما السياسة القومية التى تسعى لخير الوطن واستقلاله ، فلن يستطيع عاقل أن يحرمها على الطلاب، ولاسيما أن كل أسرة من أسر الوطن العزيزة تبعث بأفرادها إلى المدارس والمعاهد ، فإذا عرف التلميذ من معلمه وجه الحق فيما يدور على مسرح السياسة المصرية استطاع أن يقنع أهله وذويه بما يقوم به العهد الجديد من إصلاح ، فيقطع السبيل على الشائعات المغرضة ، ويأمن الوطن ما يهدده من الزلزلة والانشقاق

إن دراسة الأحداث الجارية من سياسية واجتماعية ، تأخذ نصيبها الأوفر فى مدارس الغرب ومعاهده ، ولكنها لا تجد فى مصر من ينظر إليها نظرة جدية ، بل يكتفى فى بعض المدارس المصرية ، بكتابة موجز يومى لأهم الأنباء السياسية ، على سبورة توضع فى الفناء ، وأكثر المدارس لا تلتفت إلى ذلك ، وتراه عبثا لا يفيد التلاميذ فى شئ !! وهذا خطأ يجب أن يلتفت إليه ، فالأحداث السياسية هى التى تؤلف تاريخ الدولة ، ويترتب عليها مستقبل البلاد ، ولن تكون غير حلقات مشتبكة من سلسلة الحياة ، فالمدرس حين يوجه إليها اهتمامه إنما يبصر الأذهان بما

يمثل فى الوطن من أدوار . وقد يقول قائل إن اشتغال المعلم والطالب بالأحداث الجارية فى مجتمعه يحول دون أداء الرسالة الثقافية التى تضطلع بها المدرسة ، إذ أنها ستزاحم المواد الأخرى من رياضة وعلوم ولغات ، وقد تكون سببا فعالا فى هبوط المستوى العلمى هبوطا لا تحمد عقباه ، ونحن نقول إن دراسة الأحداث الجارية فى الدولة ، والعالم أيضا ، لا يكون بتخصيص أوقات خاصة تقتطع اقتطاعا ، من اليوم المدرسى للتلميذ، ولكن مدرسى المواد العلمية يقومون بهذا الواجب فى دروسهم المختلفة دون أن يشعر التلاميذ أنهم قد انتقلوا من موضوع لموضوع؛ فمدرس التعبير مثلا يستطيع أن يجعل مواضيعه الإنشائية تدور حول الإصلاحات الهامة التى تشغل الأذهان ، كتحديد الملكية الزراعية ، ومحاربة الغلاء وتعمير الصحراء ، وتأميم الطب ، وتشجيع الإنتاج القومى ، وإلغاء الرتب والألقاب، وعلى المعلم أن يفسح لتلاميذه مجال النقاش بالحصة الشفوية فى جو من الحرية والإخلاص ، كما يستطيع أن يعقب على كل رأى بما يعن له من توجيه وتصحيح ، وبدراسة هذه الموضوعات الهامة يلم الطلاب بمشاكل مجتمعهم وأحداثه الهامة ، ويتقبلون ما يدور من الإصلاح بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل يصبحون من دعاته وحملة لوائه فى كل مكان

ولقد كنا فى العهد البائد ندرس التربية الوطنية دراسة مضحكة فنكتفى بالمذكرات الموجزة عن البرلمان والدستور والملك ومجالس القرى والمديريات ، تاركين للطلاب أن يستظهروا ما يدونونه من السطور الجافة دون أن يتشبعوا بالروح الديمقراطية الصحيحة التى يجب أن تغمر البلاد ، وكان من المؤسف أن يحفظ الطلاب فيما يحفظون أن الأمة مصدر السلطات ، ويرون بعد ذلك ما نعرفه من تزييف الانتخابات وتمزيق الدستور ، والعبث بالحريات ، كان ذلك فى العهد البائد ولكنه لن يكون فى عهد سطعت فيه أضواء الحرية ، وعرف كل مواطن حقوقه وواجباته ، وأصبح المعلم ملزما بدراسة التربية الوطنية دراسة تخلق النفوس ، وتعرض الواجبات ، وتقدس الحرية والعدل والمساواة ، وتجعل كل تلميذ يشعر بكرامته الإنسانية ، وينشد لوطنه الحرية والاستقلال

٣٨ . ٣٩

لقد لاحظ بعض الباحثين مايشيع لدى شبابنا المثقف من جهل بالأحداث الجارية ، خارجية وداخلية ، حتى أصبحنا نواجه مشكلة دقيقة ، اصطلح الكتاب على تسميتها بمشكلة « أمية المتعلمين » فأنت ترى الشاب الجامعى يحمل مؤهلا عاليا ، فتظنه يلم بما يلم به المثقف عادة من حوادث العالم وشؤونه فى وقت كثرت فيه الصحف وتنوعت الإذاعات ، ولكنك تناقشه فى أمر ذائع فلا تظفر بشئ مما فطن ، فترجع باللائمة على الدراسة الجافة التى عكف عليها ، فى مدرسته وجامعته ، ونحن لا نريد أن نستمر على هذا النهج المعوج فننشىء شبابا غلف العقول والقلوب ، بل لا بد أن نعيد دراسة المناهج من جديد ، فنضم إلى كل مادة مايخلع عليها الجدة والطرافة ويجرى فى شرايينها دماء الحياة ، نريد أن نبتعد عن التوافه الحقيرة التى لا تفيد الطالب فى شىء غير ازدحام الذاكرة بكل مشوه بال ، نريد أن نبعد عن التاريخ أرقام الميلاد والوفاة ليعض الإمعات من السلاطين والوزراء ، نريد أن ندرس الوثبات الاجتماعية والسياسية للشعوب وننقل ما كل الملوك ، وهدايا الأفراد ، وتحف الخلفاء ، نريد أن نبتعد عن الشكلية الضيقة فى تدريس الجغرافيا التقليدية ، فلا نقف بها عند الحاصلات والمناخ والتضاريس ، بل ننتهز مايجد من الأحداث الخارجة ، فنكشف عن أسبابها ثم نتطرق إلى الدولة التى كانت مسرحا لهذه الحوادث ، فنتحدث عن مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى ذلك من التشويق مايبعث الرغبة ويولد الاهتمام ، ولن يقف المنهج الرسمى عقبة معترضة ، إذ لا يتعذر على الوزارة إيجاد منهج مرن يدرس الدول الهامة ذوات السيطرة والتأثير فى شتى البقاع

إن المعلم يستقبل مع تلاميذه عهدا نظيفا طاهرا ، ترفرف عليه ألوية الحرية والعدالة والمساواة ، فعليه أن يبذل جهده الجهيد فى إنارة الأذهان ، وتقويم النفوس ، والتشبع بمبادىء الأخلاق ، وبذلك يخلع عن وطنه نير العبودية والهوان ، ويحقق رسالة مصر الخالدة فى موكب الحضارة والعمران

(أبو تيج) محمود رجب البيومي